أولو بقية
ينهون عن الفساد في الأرض

تأليف

د. عبد اللطيف بن عبد الله الوابل

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أولو بقية
ينهون عن الفساد في الأرض

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

0125562986 | yyy.01@hotmail.com

dar.taibaa @dartaibagreen dar.taibagreen123 dar.taiba

مكة المكرمة العزيزية خلف مسجد فقيه

0503568771 | 0550428992 | yyy.01@hotmail.com | 0125562986

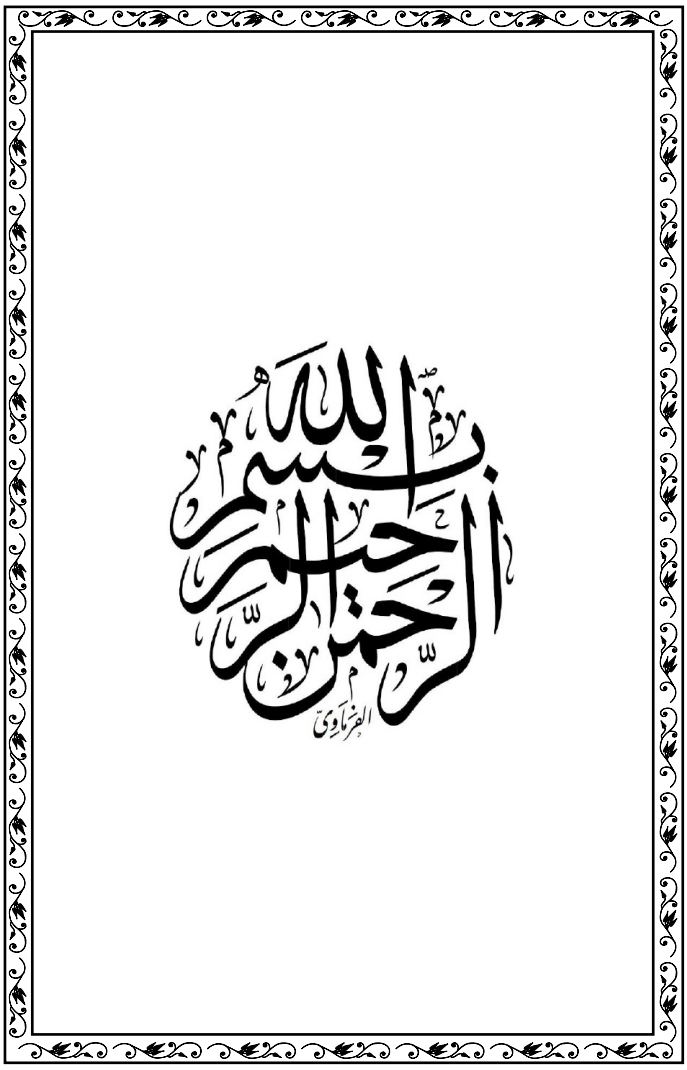
بسم الله الرحمن الرحيم
الفرماوي

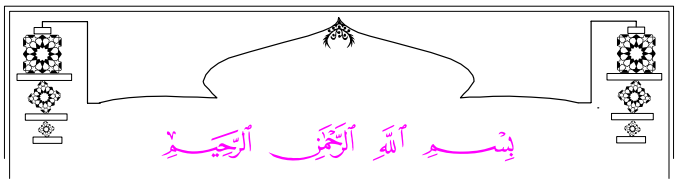

مقدمة

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٤].

إن الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء: الآية ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذو منزلة عظيمة في هذا الدين، فهو صمام بقائها، وسياجها المتين.

❐ ولعظم مكانته ومنزلته، فإننا سنتناول فيه المواضيع التالية:

أولًا: منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.

ثانيًا: فضل القائمين بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا: الآثار السيئة لترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - على المسلمين.

رابعًا: منهج المحتسبين في القيام بأمر الله:

- مع بعضهم البعض.
- مع الحكام.
- مع العامة.
- مع أهل البدع.

خامسًا: نماذج من سير المحتسبين في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

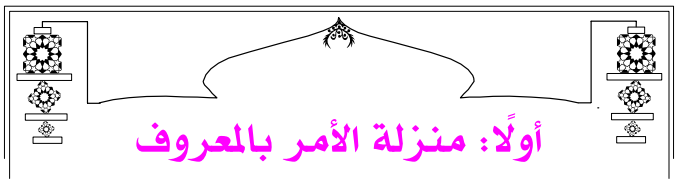

أولًا: منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام

١- لقد جعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات نبيه محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، فهذه أول صفة لمحمد ﷺ.

ولا شك في أن الأمر بالمعروف والنهي ن المنكر عليه مدار رسالة الرسل التي بُعثوا من أجلها، فهم يدعون إلى كل خير، ويحذرون من كل شر؛ ولهذا فإن أولى الناس في القيام بهذا الواجب هم ورثة الأنبياء وهم العلماء.

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام: العلماء ورثة الأنبياء، فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء؛ ولهذا عاتب الله العلماء بقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٦٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: كان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد

توبيخًا للعلماء من هذا الآية ولا أخوف عليهم منها.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٧].

٢- كما جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبَة: الآية ٧١].

وقال تعالى في وصف من عقد معهم البيعة: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحَجّ: الآية ٤١].

وأثنى الله على المصلحين من أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤].

٣- جعل الله الوصف المضاد لذلك من أخص صفات أضدادهم في المنهج والمعتقد والمصير، فقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبَة: الآية ٦٧].

٤- جعل الله القيام بهذا الواجب من مناط خيرية هذه الأمة التي هي خير الأمم، حيث قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فوصف الأمة بما وصف به رسولها صلوات الله وسلامه عليه؛ وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغنا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حجة حجها قرأ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]، ثم قال: مَن سَرَّه أن يكون من هذه الأمة؛ فليؤدِّ شرط الله فيه أي: بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن لم يتصف بذلك؛ ففيه شبه من أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المَائدة: الآية ٧٩].

ولما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ما حل ببني إسرائيل من اللعنة في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المَائدة: الآية ٧٨]، ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ الوصف الذي استحقوا به اللعنة: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: الآية ٧٩].

ولقد أحسن أبو حامد الغزالي حين وصف هذه الشعيرة العظيمة بقوله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأُهمل علمه وعمله؛ لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة - أي: الجاهلية - وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد؛ ومن ثم فلا حظ في خيرية هذه الأمة لمن ترك هذا الواجب مهما كان صلاحه.

يقول العلامة الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ: فلو قُدِّر أن رجلًا يصوم النهار، ويقوم الليل، ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع ذلك لا يغضب لله، ولا يتمعر وجهه ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؛ فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله وأقلهم دينًا.

ووصف شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ حال هذا الصنف من الناس بأنهم صُم بُكم.

ويقول علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره إلا أن يتقي منهم تقاة. فقالوا: وما تقاة؟ قال: يخاف جبارًا عنيدًا أن يسطو عليه. ولا شك أن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

مفاهيم خاطئة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

مما ينبغي التنبيه إليه وجود مفهوم خاطئ عند بعض المسلمين في فهم مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يظن البعض أن ذلك محصور في تنبيه الناس للصلاة وما يسمى بالآداب العامة.

إن ذلك مهم، إلا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعم الدعوة والتبليغ والجهاد والسياسة بإصلاح الراعي والرعية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية وغير ذلك، فالشريعة إنما جاءت لتحقيق المصالح ودفع المفاسد، ولا يتم ذلك إلا بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بحفظ الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعِرض والمال والعقل، ودفع ما يضادها.

❐ **وثمة مفهوم آخر خاطئ**، وهو أن بعض المسلمين يهتم بالشق الأول من هذا الواجب وهو الأمر بالمعروف، ويفرط في الشق الثاني وهو النهي عن المنكر.

وهذا خلل بيِّن، فهما متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فعبادة الله وحده هي الغاية من خلق الجن والإنس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلق بهذا الأمر تعلقًا كاملًا.

فالمسألة ذات شقين:

الشق الأول: متعلق بإقامة الدين والدعوة إليه من الإيمان

والتوحيد وغير ذلك، وحفظه في جانب الوجود.

الشق الثاني: متعلق بحفظ الدين وإحاطته، ونبذ ما يخالفه في العقيدة والشريعة من شركيات وكفريات وضلالات، وبدع وخرافات، ومساوئ ومنكرات، وهذا هو النهي عن المنكر، وحفظه في جانب العدم.

ولهذا يخطئ من قلَّ حظه من العلم النبوي حين لا يبالي بإنكار المنكر، أو يظن أن ترك صاحب المنكر ومنكره لا يؤثر على سلامة المجتمع، أو أن ذلك من الحرية المطلوب تحقيقها - زعموا - مع أن المتأمل في آيات القرآن يجد أن هناك تأكيدًا وتنبيهًا إلى الجانب الثاني أكثر من الجانب الأول؛ لأنه أشق على النفوس وأقسى، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ [المائدة: الآية ٦٣]، فكأن الآية تشير إلى أن الربانيين والأحبار كانوا يأمرون بالمعروف وأخلوا بالنهي عن المنكر.

وقد بيَّن الله لنا في كتابه قصة أصحاب السبت وهي مشهورة معروفة، وكان من أهم أسباب عقوبتهم هو تركهم للنهي عن المنكر والسكوت عن أصحاب المنكر ومجالستهم ومخالطتهم.

ولذلك بَيَّن ﷻ أن من أهم أسباب رفع العقوبات هو إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من أهم أسباب وقوع العقوبات هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هُود: الآية ١١٦].

قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هُود: الآية ١١٦]: أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات حين اتبعوا الشهوات، واشتغلوا بطلب الرئاسات.

ولقد ذم الله أهل الكتاب؛ لأنهم: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المَائدة: الآية ٧٩].

وقال ﷻ في قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٦٥]، ولذلك كانوا ثلاث فرق: فرقة شاركت في المنكر، وفرقة سكتت عن المنكر، وفرقة نهت عن المنكر، فأنجى الله الفرقة التي أنكرت وأهلك الباقين.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفَال: الآية ٢٥] قال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين أظهرهم؛ فيعمهم العذاب.

وجاء عند أحمد من حديث عدي بن عمير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ؛ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛**

عَذَّبَ اللهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ»[(١)].

وفي الحديث الآخر عن رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا وَلَا يُغَيِّرُونَ، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ**»[(٢)].

وجاء عن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»[(٣)].

وقال بلال بن سعد رحمه الله: إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تغير؛ ضرت العامة.

والأحاديث وأقوال السلف في ذلك كثيرة، ولا يتسع المجال لذكرها.

حِكم مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- إقامة حجة الله على خلقه، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النِّساء: الآية ١٦٥]، فبإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوم الحجة على الخلق.

---

(١) «المسند» (٤/ ١٩٢).

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٤)، و«سنن أبي داود» (٢/ ٥٢٥)، و«سنن ابن ماجه» (٢/ ١٣٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٥٣٦).

(٣) البخاري (٣/ ١٢٢١، ١٣١٧، ٢٥٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٧)، و«مسند أحمد» (٦/ ٤٢٨) وغيرهم.

٢- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥١]، أي: لولا دفع الباطل وأهله بالحق وأهله، لفسدت الأرض، وانتشرت المنكرات، وضاعت العقيدة والشريعة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحَجّ: الآية ٤٠]، أي: لهدمت هذه كلها ولضاعت واندثر الدين.

٣- دفع العقوبات العامة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هُود: الآية ١١٧].

٤- استقامة الدين، واتزان المفاهيم، فيعرف الناس المعروف ويعملون به، ويعرفون المنكر ويتركونه.

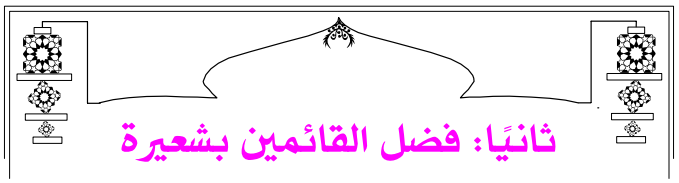

ثانيًا: فضل القائمين بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وظيفة الأنبياء عليهم السلام؛ ولذلك فإن القائمين بهذا الواجب هم في منزلة تلي منزلة الأنبياء، وقد استنبط الإمام الحسن رحمه الله ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران: ٢٠]، ففي الآية دلالة على أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الأنبياء؛ فلهذا ذكرهم عقيبهم.

واعلم أن أبرز علامة للمجدد في هذه الأمة قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي وظيفة الأنبياء الأساسية، فمن لم يحي هذه الشعيرة العظيمة؛ فلا مكان له بين المجددين لهذا الدين وإن بلغ ما بلغ في العلم.

٢- أنهم أحق الناس بوصف الغربة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بقوله: «**طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[١].

---

(١) مسلم (١/ ١٣٠)، والترمذي (٥/ ١٨)، وأحمد (٢/ ١٧٧) وغيرهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٦] فأولئك الكثرة هم الغرباء عن الله وعن رسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا في الدنيا هم المعروفين المشار إليهم[(١)].

٣- أن لهم من الأجر مثل أجور الأولين من المؤمنين، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَوْنَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ**»[(٢)].

٤- أن من صبر منهم واحتسب وأوذي في الله بالقتل؛ فهو من سادات الشهداء، ففي الحديث عند الحاكم قال النبي ﷺ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ**»[(٣)].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٩٦).

(٢) «المسند» (٥/ ٣٧٥).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٣/ ٢١٥).

وإذا كانت هذه منزلتهم في الإسلام؛ فالواجب على الأمة حكامًا ومحكومين - احترامهم وتقديرهم والذب عنهم والدفاع عن أعراضهم، فهم صمام الأمان في المجتمع، وبهم يحصل الأمن وتُدفع العقوبات، وهم حماة حوزة الدين، فكم رفع الله بسببهم عن الأمة عواصف كادت تهلك البلاد لولا بقايا منارات بيضاء لهؤلاء.

ومن ثم فينبغي ألا يتحول عملهم إلى وظائف رسمية كغيرها من الأعمال العامة، بل لا بد من الاهتمام بذلك وانتخاب طائفة ذات مواصفات خاصة، تحمل العلم والأمانة والعدالة والورع؛ ليحفظ الله بها الدين، ثم ينهض بعد ذلك كل مسلم بما قدر عليه من هذا الواجب.

وبناء على ذلك فقد قرر الفقهاء بأن لا تُسمع الدعوى فيهم، ولا يُفتح باب الجرح فيهم بخلاف غيرهم. وذلك لأن مسألة الحسبة وعملها ليست من باب الدعوة والإجابة، ولا يشترط لها شروطها، فهم باذلون أنفسهم لمصلحة الأمة، ولا مصلحة لهم فيما يقومون به، وإنما يبذلون كل وقتهم مقابل مكافأة تكف وجوههم عن حاجة الآخرين، وهذا حق لهم.

يقول العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا صرح الفقهاء رحمهم الله بأنه لا تصح ولا تُسمع دعوى في حسبة بحق الله تعالى من صلاة وزكاة وحج وحد زنا أو شرب مسكر، فهذه

المسائل وأشباهها لا تُسمع الدعوى فيها، بل لا تصح الدعوى فيها.

وعلى هذا فيجعل لأهل الحسبة من استجمع شروطها السابقة نوع حصانة، بحيث لا يتجرأ سفيه أو جبار على الإساءة إلى أحد منهم بضرب أو سباب أو غير ذلك من التعدي.

ويقول الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن حصل منه شيء من ذلك التعدي على أهل الحسبة؛ فإنه يؤدب أبلغ تأديب؛ وذلك حفاظًا لمنزلة أهل الحسبة الذين الأصل في اختيارهم أنهم معروفون بالعدالة والأمانة.

وقد حكم سماحته بالتعزير على من اعتدى على أهل الحسبة؛ لأن ذلك حق لله سبحانه حتى وإن تنازل المعتدى عليه.

ثالثًا: الآثار السيئة لترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - على المسلمين

إن مصدر ذكر الآثار السيئة المترتبة عن ترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يتمثل في الإجابة عن السؤالين التاليين:

ماذا خسر المسلمون بإماتة هذه الشعيرة؟ والسؤال الأكثر إلحاحًا: ماذا خسر العالم كله بذلك؟

وللإجابة عن هذين السؤالين فإننا لا نحتاج إلى كثير تأمل وبحث، إذ إن الواقع المشاهد في حياة المسلمين؛ أفرادًا وجماعات ومجتمعات، بل والأمة كلها - ينطق بجسيم الأضرار التي يكابدها الجميع، وخطير الآثار التي يصطلي بنارها الكبير والصغير.

❐ ويمكننا اختصار هذه الآثار فيما يلي:

١- حلول النقم ونزول العقوبات العامة من فقر وقلة أمطار وحروب ودمار وظلم وبغي.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله تعالى لا يعذب العامة

بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارًا؛ استحقوا كلهم العقوبة.

ويقول الإمام ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات وركوب الذل من الظلمة للخلق.

٢- عدم إجابة الدعاء وتأخر النصر عن المسلمين وإلحاق الهزائم بهم، ففي حديث حذيفة مرفوعًا: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(١).

٣- نزع المهابة من قلوب الأعداء وإصابة الأمة بالوهن، وتحكم الأعداء في ثرواتها مع كثرة عددها وقوتها وثروتها، وتحكم الأعداء كذلك في سياساتها واقتصادها ومناهجها، فإذا نُزعت المهابة من قلوب أعداء الأمة بسبب تركها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تسلط عليها الأعداء وأذلوها.

يقول إسماعيل بن عمر: من ترك الأمر بالمعروف خوفًا من المخلوقين، نُزعت منه المهابة، فلو أمر ولده لاستخف به، أي: نزع الله هيبته.

٤- انتشار المفاهيم الخاطئة في المجتمع الإسلامي، واختلاط

---

(١) الترمذي (٤/ ٤٦٨)، و«المسند» (٥/ ٢٩٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧).

الحق بالباطل والباطل بالحق، ومن ثَم انتشار ظاهره التفريط والإفراط بين أفراد المجتمع الإسلامي، واختلال تماسك المجتمع وأمنه واستقراره.

٥- فشو المنكرات وكثرة الفساد في المجال التشريعي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والإعلامي والأخلاقي.

ولقد أصبح - على سبيل التمثيل - كثير من الإعلام الموجود في بلاد المسلمين أشد خطرًا وأفسد من قنوات الكافرين؛ مما أدى إلى انقلاب المفاهيم لدى كثير من الناس، وأصبح المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

٦- استباحة بلاد المسلمين من قِبل الكفار المجرمين، وهوان المسلمين على أعدائهم.

٧- تسلط المفسدين وإفسادهم في الأرض، فَحَقَّ عليها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٦].

٨- تحكم الأمم الكافرة في العالم الإسلامي حتى في شؤونها الداخلية، فالمناهج يطالبون بتغييرها، والسياحة يطالبون بفتحها على الأبواب، والدعوة إلى الحق والهدى يضيقون عليها وربما أحيانًا يغلقون أبوابها.

٩- ظهور منكرات الشرك والكفر بالله ... وغير ذلك من المنكرات الكبرى والطوام المهلكة من الأحزاب الكافرة التي

تتنكر للدين وأهله، وتحارب مبادئ الإسلام علانية، وتوالي الكافرين والمفسدين.

١٠- الانحراف الاقتصادي المذهل، إذ أصبحت البنوك الربوية هي معالم الاقتصاد في كثير من بلاد المسلمين، وهي محاربة صريحة لله ولرسوله، واستنزال لعذاب الله ومقته.

١١- تحكم أهل الشهوات والأهواء في بلاد المسلمين.

يقول الشيخ الدوسري رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا تكون القيادة لأهل الشر إلا إذا تخلى عنها أهل الخير، ورضوا من إيمانهم بإيمان صوري أو إيمان ناقص لا يُلحقهم بهذه الخيرية، وإنما يعاقبهم بتسليط أهل الشر عليهم، فيحكمونهم بالحكم الدنيوي المرخص، المهدر لكرامتهم والمُصادر لأموالهم.

ومن ثم فإني أقول: إن من فضل الله على بلاد الحرمين أن قيض الله لها علماء واعين ربانيين في بداية تأسيسها، بذلوا جهدًا مباركًا مع ولاة الأمر لإنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مما كان له الأثر الكبير في استقرار وأمن هذه البلاد، ومهما انتابها من ضعف؛ فهي لا تزال بحمد الله غصة وشوكة في نحر أهل الشهوات والمنكرات؛ ولذلك يجب المحافظة على هذا المعلم وتقويته ودعمه وإكرام أهله؛ حتى يقام بالواجب على الوجه المشروع.

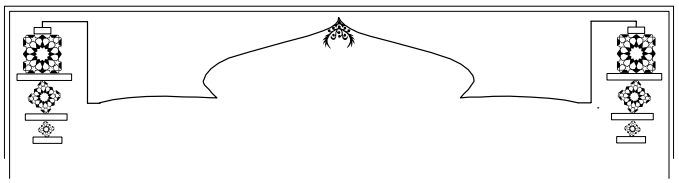

رابعًا: منهج المحتسبين في القيام بأمر الله

أولًا: مع بعضهم البعض:

١- تثبيت بعضهم بعضًا في معرض البلاء:

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه وقلة علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم وأنا معه: يا أبا عبد الله! الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى به، وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتقِ الله واثبت لأمر الله!! أو نحوًا من هذا الكلام. فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي.

ولما حُمل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ليُضرب، جاءوا إلى بشر بن الحارث وقالوا له: قد وجب عليك أن تتكلم. فقال: تريدون مني أن أقوم مقام الأنبياء؟! ليس ذلك عندي، حفظ الله الإمام أحمد من بين يديه ومن خلفه، وبقي رَحِمَهُ اللَّهُ يدعو للإمام أحمد، وقد ذُكر عنه أنه قال: إن فُتن الإمام أحمد (حاشاه) فسأكون مكانه.

٢- ملازمة العلماء بعضهم لبعض:

يقول الإمام عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس.

٣- أسلوب الشدة والتقريع واللوم إذا وقع الخطأ وحصل التقصير:

فهذا الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يوبخ مجموعة من العلماء، وجدهم على باب الوزير ابن هبيرة واقفين قائلًا لهم: فضحتم والله القراء، فضحكم الله، لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعدكم الله فيمن أبعد.

وكتب الإمام مالك إلى العمري الزاهد: إنك بدوت - أي: سكنت البادية - فلو كنت عند مسجد رسول الله ﷺ. فأجابه: إني أكره مجاورة مثلك، إن الله لم يرك متغير الوجه فيه ساعة قط.

وقد علق الذهبي على هذا الجواب بقوله: هذا على سبيل المبالغة في الوعظ، وإلا فمالك من أقول الناس بالحق، وأشدهم تغيرًا في رؤية المنكر.

٤- حث العلماء أقرانهم على تقوى الله في كل موطن:

كان ابن القاسم يقول لأصحابه من العلماء: اتقوا الله، فإن قليل هذا العلم مع تقوى الله كثير، وكثيره من غير تقوى الله قليل.

وبعث سفيان برسالة إلى عباد بن عباد يقول: أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، فإن اتقيت الله ﷻ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا.

٥- كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر في جماعة معهم؛ ليكون ذلك أقوى وأمنع لهم اقتداءً بموسى عليه السلام.

فقد كان أبو بكر الأقفالي إذا نهض لإنكار منكر؛ استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم، فإذا تبعه مخلط رده، وقال: متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش.

ويروي الإمام الذهبي رحمه الله أن عبد الرحمن البغدادي كان له أصحاب وأتباع يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيًا: منهجهم مع الحكام:

١- المناصحة علنًا وسرًّا، بحسب إعلان المنكر أو الإسرار به.

٢- عدم الدخول عليهم إلا لأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو مناصحة عامة، فهذا أقوى لمكانتهم وأعظم قبولًا لكلمتهم.

٣- النهي عن كثرة مجالستهم ومخالطتهم؛ لئلا تذهب هيبة العالم أو تمتد أبصارهم إلى دنيا المترفين، فيضعف يقينهم، ويتهاونوا في القيام بالأمر والنهي.

٤- تَرْك أخذ الهبات والأعطيات منهم، والإخلاص في ترك ذلك لله، والاستغناء بما عند الله عما في أيدي أولئك الحكام.

وقد ذكر ناصر المروزي أن بعض الفقهاء المختلفين إلى القفال - احتسب على بعض أتباع والي مرو، فرفع ذلك إلى السلطان محمود، فقال: أيأخذ الفقهاء شيئًا من ديواننا؟ قيل: لا. قال: فهل يتلبس بشيء من الأوقاف؟ قيل: لا. قال: دعهم؛ فإن الاحتساب لهم سائغ.

ثالثًا: منهجهم مع العامة:

١- مداخلة العامة والاختلاط بهم ومناصحتهم:

فهذا الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ ينزل بالأعراب يعلمهم صحيح العقيدة، ويتلطف مع المنحرفين منهم؛ ليصحح عقائدهم وسلوكهم.

وهذا الفقيه الواعظ أحمد الغزالي، يدخل القرى والضياع، ويعظ أهل البوادي تقربًا إلى الله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر، ففي مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن.

ويقول الغزالي: واجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية - أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن الأعراب وغيرهم، يعلمهم أمر دينهم وفرائض شريعتهم.

وقال شجاع بن الوليد: كنت أحج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذاهبًا وراجعًا.

٢- القدوة الصالحة:

حَرَص العلماء القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أن يكونوا قدوة للعامة.

يقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: كنا قبل اليوم نضحك ونلعب، أما إذ صرنا أئمة يُقتدى بنا، فلا نرى أن يسعنا ذلك، وينبغي أن نتحفظ.

ولما دعي سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك بعد أبيهما قال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار؛ فإن النبي ﷺ نهى عن البيعتين. فقيل له: ادخل واخرج من الباب الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس. فجلد مائة جلدة.

ويقول هرم بن حيان: إياكم والعالم الفاسق وفسر ذلك بقوله: هو أن يكون إمامًا يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، ويشبه على الناس فيضلوا.

٣- التواضع لهم والترفق بهم:

يقول سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: مر بالمعروف في رفق، فإن قبل منك؛ حمدت الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا أقبلتَ على نفسك فإن لك شغلًا.

٤- حرصهم الشديد على بيان الحق للعامة:

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل،

فمتى يتبين الحق؟

وكان السلف رحمهم الله يُحذرون العامة من المنكر وأهله من خلال تفسيرهم وشرحهم للقرآن والسنة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق، ويرحمون الخلق، ويتبعون الرسول فلا يبتدعون.

ويصف ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بقوله: أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد؛ لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم.

قيل للإمام أحمد زمن الفتنة: يا أبا عبد الله! ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ فقال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلال، وقلوبنا بعد لازمة للحق.

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النساء: الآية ١٤٠].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر؛ لأن من لم يجتنبهم؛ فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم؛ يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإذا لم يقدر على أن ينكر عليهم؛ فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا

يكون من أهل هذه الآية، وإذا ثبت تجنب أهل المعاصي، فتجنب أهل البدع والأهواء أولى.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقًا على حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في الجيش الذي يغزو الكعبة: وفي الحديث أن مَن كَثَّر سواد قوم في المعصية مختارًا أن العقوبة تلزمه معهم.

ويقول الشيخ العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتُقتحم حدوده التي حدها لعباده بقوله وَجَلَّ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النِّساء: الآية ١٤٠] أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكور فأنتم مثلهم؛ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. والحاصل أن من حضر مجلسًا يعصى الله فيه؛ فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم مع القدرة أو القيام مع عدمها.

٥- رعايتهم لحق الناس:

فهذا الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبعث للخليفة برسالة يشفع فيها في زيادة أرزاق أهل الساحل، ويذكر حاجتهم.

٦- مجالس الذكر:

فقد كان لكثير من هؤلاء العلماء الربانيين مجالس ذكر، يُعلمون الناس فيها الخير، ويأمرونهم بالمعروف، ويتعاونون معهم على إنكار المنكر.

رابعًا: منهج العلماء مع المبتدعة:

كانوا شديدي الإنكار على أهل البدع لما في بدعهم من ضرر على المسلمين وتحريف للحق، فالبدعة أشد من المعصية.

وإليك بعض الآثار الواردة عن السلف في ذلك:

١- يقول أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

٢- ويقول سفيان: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم؛ خرج من عصمة الله ووُكل إلى نفسه.

٣- وسئل سفيان الثوري عمن يشتم أبا بكر، فقال: كافر بالله العظيم. قالوا: نصلي عليه؟ قال: لا ولا كرامة. ثم سئل: ما نصنع به؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه التراب.

ولهذا جاد أولئك العلماء بأنفسهم يوم رُفعت راية أهل البدع والأهواء.

فهذا الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عنه ابن المديني: أيد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

وقال إسحاق بن راهويه: لولا أحمد ابن حنبل وبذل نفسه لما يذل لذهب الإسلام.

وقصة الإمام أحمد بن نصر الخزاعي مشهورة، ومع أنه لم يكن من مشاهير كبار العلماء إلا أنه كان من أخشاهم، فقد كان شابًّا يخشى الله واليوم الآخر، ولما حصلت فتنة خلق القرآن مع الواثق جاءه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو متحنط، وبدأ يدعو الناس، ويأمر بالمعروف، ويدافع عن كتاب الله؛ فلما أخذه الحرس وأوثقوه وجاءوا به إلى الواثق، قال: والله لا أقول إلا الحق!! فبقي صابرًا محتسبًا وهم يضربونه، ويقطعون جسده إربًا إربًا، وهو لا يزال ثابتًا، حتى مات في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

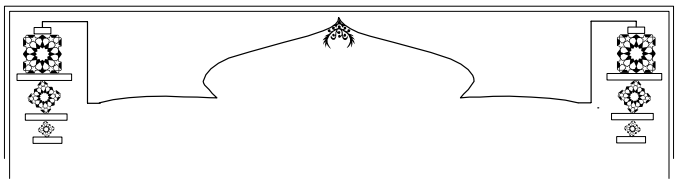

خامسًا: نماذج من سير المحتسبين في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولًا: أنبياء الله ورسله عليهم السلام:

❐ فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يُونس: الآية ٧١].

❐ وهذا إبراهيم عليه السلام يخاطب قومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٥٢].

❐ وهذا موسى عليه السلام يقف ثابتًا أمام الطاغية فرعون الذي ادعى الألوهية بقوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ

ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القَصَص: الآية ٣٨].

ومع هذا يقول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غَافر: الآية ٢٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعرَاف: الآية ١٢٨].

❐ **وهذا هود** عليه السلام يقول لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣١].

❐ **وهذا محمد** صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم - يصفه الله بقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٥٧].

ثانيًا: السلف الصالح من العلماء والدعاة:

إن تاريخ الإسلام مليء بنماذج حية لمواقف العلماء والدعاة وقيامهم بهذا الواجب العظيم، وكُتُب السيرة والرجال كذلك مليئة بقصصهم لمن أراد الإبحار في سيرهم رحمهم الله.

وهذه نماذج على سبيل الإشارة والاختصار:

❐ قال رجل لعمر رضي الله عنه: اتقِ الله! فأجابه أحد الحاضرين: أتقول هذا لأمير المؤمنين؟ فقال عمر: لا خير فيكم إن لم

تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها.

❐ وقد ناقش سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر بن الخطاب عن الثوب الذي لبسه لما طلب منهم السمع والطاعة، فقال: لا سمع ولا طاعة حتى تخبرنا: من أين لك الثوب الطويل؟ فأمر ابنه عبد الله أن يخبرهم بأنه ثوب ابنه، فقال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الآن نسمع ونطيع.

❐ ووعظ الفضيل بن عياض الرشيد، فقال له: يا هارون! إني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدام. ثم قال: يا حسن الوجه! أنت الذي يسألك الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذا الخلق يوم القيامة، إن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًّا، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»[1].

❐ ولما دخل سفيان على أبي جعفر المنصور سأله المنصور أن يرفع إليه حاجته، فأجابه: إنما أُنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعًا، فاتقِ الله، وأوصل إليهم حقوقهم.

❐ أما أبو يعقوب البويطي فقد كان يقول في فتنة أهل الأهواء: والله لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٥).

قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن دخلت عليه - يعني الواثق - لأصدقنه فيما أقول، فمات في السجن.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية: أَذِن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنًا خاصًّا، فدخل رجل رث الثياب والهيئة، لم يأبه له الحرس، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة، فلم يدرِ أين ذهب، وإذا بها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الإنسان! إن الله قد جعلك بينه وبين عباده، فاحكم بينهم بالحق، ولا تتبع الهوى، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون، وما نؤخره إلا لأجل معدود، إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: الآية ٥٢] أي: الظالمين، وإني أحذرك يوم ينادي المنادي: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: الآية ٢٢] ألا لعنة الله على الظالمين. قال: فتغير وجه عبد الملك، فدخل دار حرمه، ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أيامًا.

❐ وهذه قصة المنذر بن سعيد البلوطي رَحِمَهُ اللَّهُ مع الأمير الناصر، حين بنى قصره الزاهد، ووضع به قبة من الذهب والفضة، وأصبح الناس يدخلون مع العلماء وطلبة العلم وغيرهم، ومنهم القوي ومنهم الضعيف، فجاءه المنذر فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيت أو سمعت أن أحدًا من الخلفاء قبلي فعل مثل هذا؟ فأقبلت دموع القاضي تتحدر، ثم قال: والله ما ظننت يا أمير المؤمنين أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، أن أنزلك منازل

الكفار! قال: لمَ؟ قال: قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٣٣]، فنكس الناصر رأسه طويلًا ثم قال: جزاك الله عنا خيرًا وعن المسلمين، الذي قلت هو الحق!! وأمر بنقض سقف القبة المبني بالذهب والفضة.

❐ وفي «سير أعلام النبلاء»: عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه، أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة من الإبل وهو بالشام تحمل الخمرة، فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل: لا، بل خمر يباع لفلان. فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها.

❐ يقول المروذي صاحب الإمام أحمد: مررت وأبو عبد الله متوكئ على يدي، فاستقبلتنا امرأة بيدها طنبور فكسرته، وجعلت أدوسه، وأبو عبد الله واقف منكس الرأس لا يقول شيئًا.

وقال إسماعيل بن نجيد: رأيت أبا العباس السراج يركب حماره، وعباس المستملي بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقول: يا عباس، غَيِّر كذا، اكسر كذا.

❐ وجاء في ترجمة الإمام عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان لا يرى منكرًا إلا غيره بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

يقول الراوي: رأيته مرة يهريق خمرًا، فجذب صاحب الخمر

السيف، فلم يخف منه، وأخذه من يده، وكان قويًّا في بدنه. وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات.

❐ محنة السرهندي: تولى الحكم في الهند سنة (٩٦٣هـ) رجل من ملوك المغول يدعى جلال الدين أكبر، فسام مسلمي الهند سوء العذاب، واضطهد علماءهم، وأعلن الحرب على الإسلام مدعيًا بأن عصر النبوة قد انتهى، واستباح ما حرم الله من الخمر والقمار والخنزير، وآذى العلماء.

فوقف له أحد المشايخ واسمه أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي رَحِمَهُ اللَّهُ، واستمر يدعو إلى الوقوف في وجه هذا المفسد، وأخذ يدعو الناس إلى الحق حتى هلك الطاغية.

وتولى بعده ابنه، فأخذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يطالب الأمراء والمسؤولين الآخرين بالتوبة إلى الله ومناصرة الدين وأهله، والبعد عما حرم الله.

ولما علم بذلك حاشية الملك الجديد، وشوا به إلى الملك وقالوا: هذا سوف يفسد عليك.

فأمر بسجنه، فأصلح الله به مَن في السجن؛ حتى شفع له مدير السجن لدى الملك، وبَيَّن له أن هذا لا ينبغي سجنه بل يجب إكرامه.

فاستدعاه الملك وأكرمه، ووافق على مطالبه والتي منها:

١- تحريم السجود للملك (التحية).

٢- الإذن بذبح البقر.

٣- تعيين القضاة ورجال الحسبة في كل بلد.

٤- إعادة بناء المساجد المهدمة.

٥- إبطال القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية.

❐ وذكر الأستاذ محمد سليمان صاحب كتاب «من أخلاق العلماء» أنه لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة زمن الخديوي إسماعيل وتوالت الهزائم على مصر؛ لوقوع الخلاف بين قوادها وجيوشها - ضاق صدر الخديوي لذلك، فركب يومًا مع شريف باشا وهو محرج، فأراد أن يفرج عن نفسه، فقال لشريف: ماذا تصنع حينما تلم بك ملمة تريد أن تدفعها؟ فقال: يا أفندينا! إن الله عودني إذا حاق بي شيء من ذلك أن ألجأ إلى «صحيح البخاري»، يقرؤه لي علماء أطهار الأنفس، فيفرج الله عني.

قال: فكلم الخديوي شيخ الأزهر، وكان الشيخ آنذاك العروسي، فجمع له صلحاء العلماء، وأخذوا يتلون في البخاري أمام القبة القديمة في الأزهر.

قال: ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى، فذهب الخديوي ومعه شريف إلى العلماء، وقال لهم محنقًا: إما أن هذا الذي تقرءونه ليس صحيح البخاري أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من

رجال السلف الصالح، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا!! فوجم العلماء، فابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، الهزيمة بسببك فإنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**»(١)، فزاد وجوم المشايخ.

وانصرف الخديوي ومعه شريف، ولم ينبس بكلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه.

فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوي ما قال؟ فقال الشيخ: أنا. فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار الشيخ وشريف باشا حتى دخلا على الخديوي في قصره، فإذا به في البهو، وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه، وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر. فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديوي: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟ قال له: يا أفندينا! أليست المحاكم المختلطة تحكم بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحًا؟ أليس؟ أليس؟... وعدد له منكرات تجري بلا إنكار، وقال: كيف تنتظر النصر من السماء؟

---

(١) «الأوسط» للطبراني (٢/ ٩٩)، البزار (١/ ٢٩٢).

فقال الخديوي: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه مدينتهم؟! فقال الشيخ: إذن فما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديوي مليًّا، وأطرق طويلًا ثم قال: صدقت صدقت.

❐ **وختامًا:** بعد هذه الإطلالة على هذا الركن العظيم والدرع الحصين، الذي ميز الله به هذه الأمة، وجعله صمام خيريتها وبقائها وعنفوان مجدها وعظمتها؛ نلهج إلى الله أن يعيد لهذه الأمة سالف عزها ومجدها، وأن يقيض لها علماء ربانيين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

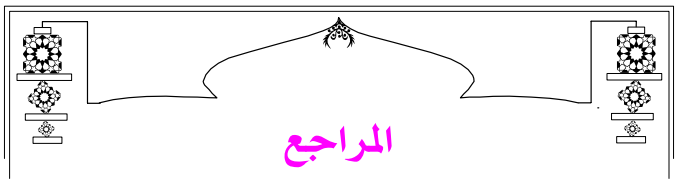

المراجع

١- «مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - فاروق السامرائي.

٢- «الإسلام بين العلماء والحكام» - عبد العزيز البدري.

٣- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - خالد السبت.

٤- «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» - ابن النحاس.

٥- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - جلال الدين العمري.

٦- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - ابن تيمية.

٧- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - أحمد الخلال.

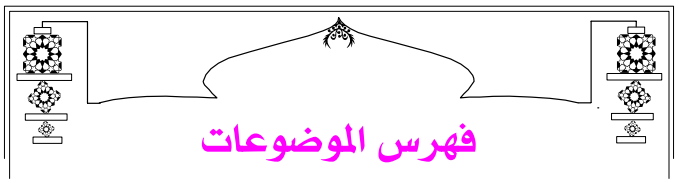

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
أولًا: منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام	٧
مفاهيم خاطئة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	١١
حِكم مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	١٤
ثانيًا: فضل القائمين بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٦
ثالثًا: الآثار السيئة لترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – على المسلمين	٢٠
رابعًا: منهج المحتسبين في القيام بأمر الله	٢٤
أولًا: مع بعضهم البعض:	٢٤
ثانيًا: منهجهم مع الحكام:	٢٦
ثالثًا: منهجهم مع العامة:	٢٧
رابعًا: منهج العلماء مع المبتدعة:	٣١
خامسًا: نماذج من سير المحتسبين في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٣
أولًا: أنبياء الله ورسله عليهم السلام:	٣٣

ثانيًا: السلف الصالح من العلماء والدعاة: ٣٤
المراجع ٤٢
فهرس الموضوعات ٤٣